دعـــوة عـــشـــاء
(قصة قصيـــرة)

• (قصة) :صالح أبوأصبع

1 – الهدية

وصلني بالبريد طرد خفيف الوزن، وما إن رأته ابنتي حتى أسرعت طالبة مني أن أفتحه لعله يكون هدية لها ، ولم أكن أتوقع هدية من أحد، ولكنني ما إن رأيت اسم المرسل الموقع باسم السواد **Le Noir** حتى عرفت أنه من المطعم الذي زرناه في الأسبوع الماضي، كان الطرد يشتمل على رسالة واستبانة ودعوة لشخصين لحفل عشاء وميدالية مفاتيح تحمل شعار المطعم .

في الرسالة نقرأ ما يلي :

« عزيزي ...

كان حضورك مع ضيوفك شرفاً لنا ، لفت انتباهنا أثناء تناولكم للطعام التزامكم الصمت ، كنا نتوقع نحن أصحاب المطعم أن تكون تجربتكم مريحة وتقترب من تجربتنا، صمتكم أشعرنا بأنكم عشتم تجربة يكتنفها الوجل والقلق ... ولأننا حريصون على راحة زبائننا فإننا نرسل لك دعوة عشاء على حسابنا، آملين أن تتخطى تجربتكم حدود التجربة الأولى. راجين ملء الاستبانة المرفقة ، وتأكيد حضوركم لنكون في استقبالكم، مع تحياتنا

... انتهت الرسالة ....

*****

قرأت ابنتي الرسالة وأعطيتها الميدالية،وقلت لها هذه هديتك . وسألتني ابنتي ما الذي جعل تجربتكم في هذا المطعم تستثير إدارته إلى درجة أنهم يرسلون لك دعوة كهذه ورسالة أشبه بالاعتذار ؟

فأي تجربة كانت هذه يا أبت ؟

2 – تجربة الدخول إلى المطعم

حينما دفعت بوابة المطعم كانت هناك ساحة تفصل بينه وبيني، وكان هناك باب آخر ليحول دون تسلسل النور من الشارع داخل المطعم، كان الباب الثاني الذي ينفتح باتجاه الداخل يقود إلى صالة صغيرة للانتظار مضاءة فقط بثلاثة شموع بالكاد تظهر للداخل ملامح المكان حيث توجد مضيفة تقود الزبائن إلى طاولاتهم .

بادرتنا قائلة: ها هل أنتم مستعدون لخوض غمار التجربة، في الداخل ستكونون في مكان يخيم فيه ظلام دامس، أنتم ستعيشون تجربة في المطعم مثل تلك التي يعيشها العميان في كل لحظة . ثم طلبت منا أن نسير وراءها أشبه بالقاطرة كل واحد منا يمسك بحزام الآخر أو يضع يده على كتف من يقف أمامه، وطلبت مني أضع يدي على كتفها كي تقودنا إلى الطاولة المحجوزة لنا .

فتحت الباب وكان هناك أيضاً مساحة فاصلة تفصل بين صالة الاستراحة وقاعة الطعام، وما إن دخلنا تلك المساحة حتى تلاشى الضوء المنبعث من الشمعات وفتح باب آخر يوصلنا إلى قاعة الطعام وكان الظلام دامساً وانبثقت من بعضنا همهمات

* جامعة فيلادلفيا

وكلام وضحكات قصيرة وإحساس بالرهبة ... وقلت يا لها من تجربة !

كان علينا أن نحاذر ونبقى نتبع خطوات المضيفة التي كانت تقودنا إلى طاولتنا، وطلبت منا أن نمد أيادينا لنحاذر الاصطدام بأي شيء، أو شخص أو طاولة أو كرسي أثناء تحركنا باتجاه الطاولة التي وصلناها ونحن نسير بحذر شديد .

وبدأنا بالجلوس ونحن نتحسس سبيلنا للوصول إلى الطاولة، وأخذ كل واحد منا مقعده، وجلسنا حول طاولة مستديرة ... وقلت ها نحن وصلنا بسلام إلى طاولتنا .

3 – الطعام

بدأنا نتحسس أمامنا، كان هناك طبق وملعقة وشوكة وسكين وفوطة وكأس فارغ . بدأنا بالإحساس بهيبة المكان في ظل ظلام دامس يحول دون المشاهدة. وكان علينا أن نركز في تجربتنا على حاستي اللمس والسمع، جاء النادل إلينا ليعرض لنا القائمة التي يقدمونها .

أما أنا فقد تحاشيت أن أتناول الحساء أو أي نوع من الطعام الذي فيه أنواع من المرق ... أعترف كان هروباً من خوض التجربة الكاملة . طلب كل واحد منا وجبته .

وكان أحدنا أكثرنا حماسة لخوض التجربة كاملة فطلب الحساء بالإضافة إلى وجبة المطعم الخاصة التي تتضمن ثلاثة أطباق بما فيها الحلوى .

جاء النادل وقدّم لكل واحد الشراب الذي طلبه، معظمنا طلب الماء ، وأعترف– مرة أخرى – بأن بعضنا كان يحب ألوانا مختلفة من العصير أو المياه الغازية ولكنه كان واضحاً أننا جميعاً آثارنا السلامة خشية أن يندلق أي من المشروب على ملابسنا الأنيقة .

حين بدأنا نأكل طعامنا كان الصمت ولا شيء غيره يلف طاولتنا، ولم تكن تجربة استخدام الشوكة والسكين بمجدية لنا ونحن لا نستطيع تحديد حجم اللقمة التي نقطعها، ولست أذكر من قال الأكل بالأيدي أجدى ...

كان الصمت يسود الطاولة وبالكاد نسمع صوت استخدام السكاكين والشوك في الطاولات الأخرى، ويبدو لي أن الجميع كان يستخدم يديه في تناول الطعام، ولا حرج في ذلك ... لا أحد يرى ما يفعله الآخرون ...

4 – التجربة

وأنا على طاولة الطعام أحسست بأي نعمة حباها الله لنا نحن البشر ونحن نستمتع برؤية الأشياء مما يجلعنا نعرف ونختار حينما نريد أن نتذوق الطعام .

كنا لا نعرف ما هو نوع الطعام الذي تلتقطه أصابعنا إلا بعد أن يصبح في أفواهنا ... وتخيل كيف يمكن أن تكتشف أن ما وضعته في فمك هو نوع من الخضار التي لا تحبها أبداً ؟

تخيلت وأنا في لجة الظلام كيف يمكن لحياة البشر لو غمرها الظلام الدامس أن تكون لا شمس، لا كهرباء، لا شموع في حياتنا ... ولو ومدة أسبوع لا بل يومين لا بل يوم واحد كامل .. كيف سنتحرك...كيف سنستشعر جمال الأشياء وألوانها ؟

لا قراءة ... لا ألعاب ... لا تلفزيون .. لا كمبيوتر ...

كيف يمكن أن نتصرف ؟

لا حاجة لي لأن أغمض عيني فأنا أحلم بالصورة التي يمكن أن تكون .

هاهم الأطفال يتصايحون ... ويتنقلون بدون حذر ويكسرون أطباقاً وزهريات ... والأب يصرخ في أبنائه ويهددهم بالضرب ... والأم تتأفف وتتحسر وتدعو الله أن ينير الكون والدرب والبيت .والكل يعاني من لحظات الاحتباس ، رحمك الله يا أبا العلاء يا رهين المحبسين .

أنتم أيها العميان عليكم السلام ... كيف تتحركون وتأكلون وتقرؤون وتبدعون ... لا ندرك قدراتكم ومعاناتكم .

5 – الاستجابة للدعوة

سألتني ابنتي : هل ستستجيب للدعوة وتكرر التجربة ثانية ؟

لم أجب عن سؤالها .

ولكن ابنتي قالت: أبت أريد أن أذهب معك .

***

عمّان 2008/10/18